



جمالية الفن

عند الدكتور عدنان علي رضا النحوي
قراءة في الدلالات والمقومات والسمات

رسالة دكتوراه في الأدب

للباحث: عبد الجبار البودالي



د. بشير أبو ثين - الأردن

هذا الكتاب ليس الأول، ولا أخاله سيكون آخر ما كتب عن إبداع الدكتور عدنان النحوي الأدبي شعراً ونثراً وفكراً، فقد سبقته بحوث عدة ورسائل للماجستير والدكتوراه ومقالات كما تبين سيرته الذاتية.

مؤلف الكتاب هو الدكتور عبد الجبار البودالي، من المغرب العربي، حيث كان كتابه هذا هو أطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه في الأدب تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعيد الغزاوي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة اللغة العربية وآدابها، في جامعة الحسن الثاني بالجمهورية في المملكة المغربية.



د. النحوي

يقع الكتاب في مئتين واثنين وستين صفحة من القطع العادي، ويحتوي على تقديم بقلم الدكتور سعيد الغزاوي، ومقدمة ومدخل وثلاثة أبواب وخاتمة.

أفرد المؤلف مدخل الكتاب للحديث عن السيرة الذاتية للدكتور النحوي بإسهاب، فمن البطاقة الشخصية والاسم والنسب إلى المؤهلات العلمية، فالعمل والخبرات العملية والنشاط العام، ثم المؤلفات، فالاتحادات والجمعيات التي يحمل الدكتور النحوي عضويتها، فالأقطار العديدة التي زارها، إلى حفلات التكريم والمؤتمرات والندوات والمحاضرات التي قدمها، ثم الدراسات الجامعية التي قدمت حول الدكتور عدنان النحوي وفكره وأدبه ونشاطه. ثم يذكر الذين كتبوا عنه وعن مؤلفاته في الصحف والمجلات، وأخيراً الموسوعات والمعاجم التي ذكرت ترجمته. سيرة عطرة، وإنتاج غزير مبارك، ونشاط فوق العادي.

أما الباب الأول فهو بعنوان: «التأصيل النظري وصياغة الحدود»، يقدم المؤلف في هذا الباب قراءة

في التصور الفني عند الداعية والشاعر عدنان النحوي، ووفقاً على تأصيله النظري للجمال وتجديده لحقيقته ومجالاته وجملته المفاهيم المتعلقة به، وأبرز تلك المقدمات قانون الفطرة، ونظرية توالد النص الأدبي.

ثم يتحدث عن بناء المفاهيم في الأدب والفن والجمال والصيغة الإسلامية المرتبط بها الجمال.

ومن هذه المفاهيم: الامتداد الجمالي الذي بينه الدكتور عدنان النحوي في كتابه: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، حيث فصل معاني الجمال، ومن جملة ما استدلل به الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ» وهو حديث عن أبي هريرة، رواه البخاري ومسلم.

ثم يأتي الإدراك الجمالي في الكون كله ورأي النحوي في كون الجمال هو صفة الله عز وجل، ومتعة الجمال لا يحس بها إلا المؤمن. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها». والخلاصة في المسألة أن الدكتور عدنان النحوي كان موفقاً في بنائه لمفهوم الجمال على أساس الوحي.

أما عن الفن فقد فصل الكاتب رأي الدكتور عدنان النحوي تفصيلاً شافياً حين نبه إلى التعريف الواجب للفن في الإسلام والمناقض لمفهوم الغرب الشاذ للفن. حيث يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته عن الفن بأنه: «التعبير عن قضية أو موضوع بوسيلة طاهرة مباحة، وبأسلوب يرقى بالتعبير إلى درجة الجمال المؤثر في الإنسان، ومن ثم في واقعه في المجتمع والأمة والناس بعمامة ليساهم



الفنية في فطرة الإنسان مع صدق النية، وعلى قدر حق الله سبحانه وتعالى، يحمل رسالة ربانية، ويسعى للمساهمة في تحقيق أهداف ربانية لبناء حضارة الإيمان في الواقع البشري، ميدانه الكون والحياة والإنسان والدنيا والآخرة، فيكون بذلك الأدب الإنساني العالمي».

وأما «القوى الفاعلة» في انبجاس ومضة الفن فيشبهها الدكتور النحوي تشبيهاً نابعاً من تخصصه العلمي في الهندسة، فيشبه قوتي الفكر والعاطفة بالقطين الكهربيين والمغناطيسيين، ويشبه ما يعيشه الإنسان من أحداث وتجارب وما يدركه من علوم ومعارف بشحنات كهربائية تتجمع على القطبين، وتزداد تبعاً لما يحصله الإنسان في رحلة الحياة، معنى هذا أن الواقع بمحيطه وأحداثه وتجاريه وتاريخه ومعارفه يجسد قوة خارجية متفاعلة مع الفكر والعاطفة، وفاعلة بقدر معين في الإبداع الفني.

أما الباب الثاني فقد خصصه المؤلف لمقومات التشكيل الجمالي للفن. ويبين تصور النحوي لهذه المقومات فيما يأتي:

أولاً: (الحقيقة):

إن اعتبار الحقيقة العقيدة عنصراً رئيساً في التشكيل الجمالي يقوم شاهداً صريحاً على كون العبادة ركناً مكيناً في جمالية الفن الإسلامي بوجه أعم، وفي المشروع الجمالي: ذلك أن العقيدة هي التي ترسم للإنسان منطقاً وفهمه وأهدافه، وهي التي تقدم للإنسان تصوره الكامل وتبين له علاقاته كلها».

الفن في بناء حضارة إيمانية طاهرة ونظيفة، وحياة إنسانية كريمة تنعم بالعدل والحق، وتحفظ للإنسان كرامته التي كرمه الله بها، وتحفظ حقوقه التي منحها الله له، وتوفر الحرية المنضبطة بضوابط الإسلام لتعم الحرية المنضبطة للناس كافة، وتوفر المتعة الحلال التي أحلها الله لعباده، وتوفر الأمن والأمان، وليعين هذا كله الإنسان على الوفاء بعهده مع الله سبحانه وتعالى عبادةً وأمانةً وخلافةً وعمارةً للأرض بالإيمان والتوحيد وحضارتهما، وذلك كله من خلال ممارسة منهاج الله ممارسةً إيمانية شاملة في جميع ميادين الحياة».

أما عن «الأدب» فقد أورد الكاتب عدة تعريفات للأدب الإسلامي لعدد من المفكرين الإسلاميين، وبين ملاحظات الدكتور النحوي على مجمل تلك التعريفات، ومن ثم أورد تعريفه الشامل للأدب الإسلامي الذي يروي عطش الباحثين، ويشبع نهم المتأدبين، فيقول: «الأدب الإسلامي باب من أبواب الفن الملتزم بالإسلام وهو أشرفها وأعزها، وهو فن التعبير باللغة والبيان، لفته العربية التي اختارها الله لدينه بياناً معجزاً في

كتابه الكريم، وهو ثمرة التفاعل بين القوى العاملة في فطرة الإنسان المؤمن، مروية بري الإيمان والتوحيد، وبصورة خاصة التفاعل بين العاطفة والتفكير وما يحمل كل منهما من شحنات الواقع وزاده، التفاعل الذي تشعله الموهبة فينطلق النص الأدبي شعلة مضيئة تحمل جماله الفني من تفاعل الخصائص الإيمانية والخصائص



د. عبد الجبار البودالي



د. سعيد الغزاوي

ويدلل على هذا الرأي بهذين البيتين للدكتور الشاعر
عدنان النحوي:

ولو أن ما أسعى لدنيا رخيصة

شقيت بسعبي أو رجعت بخسران

ولكنما أسعى لأغلى بضاعة

من الله: جنات ونفحة رضوان

ثانياً، (الإنسان):

وينقسم دور الإنسان عند النحوي إلى: الإنسان
الأديب، والذي من خصائصه: الاعتقاد والسلوك
والمواقف، ويعد النحوي الأديب مسؤولاً عن إيجابية
المتلقي أو سلبيته، إذ الخطاب الفني الذي يُسرُّ قبحاً
في الرسالة وخلقاً في الاعتقاد يصنع قارئاً سلبياً.

أما القارئ الإيجابي فتصنعه الكلمة الفنية الطيبة.
ويورد أمثلة على كلا الخطابين من شعر الدكتور: فمثل
الرسالة السلبية من قصيدة:

وَبِحَ الْعُرُوبَةِ كَمْ قَلْبٌ يُقَالُ لَهَا

وَمَا تَرَى أَبَداً قَلْباً صَفَاً وَحَنَا

كُلُّ يُقِيمُ عَلَى أَهْوَائِهِ صَنَمًا

وَيَجْعَلُ الشَّوْقَ مِنْ أَحْلَامِهِ وَتَنًا

أما الإيجابية ففي البيتين:

وفيك بفطرة الإنسان خيرٌ

خلقت عليه ذاك هو الدليل

فتب لله! أوف العهد حقاً

فعهد الله ليس له بديل

ثالثاً، (الشكل الأدبي):

فإنه ينقسم إلى الاعتبار التاريخي والاعتبار العام.
فيبين الكاتب أن ميزة النحوي أنه لم يكتفِ بالوقوف
عند مستوى التنظير للخطاب الحجاجي، وإنما تجاوزه
إلى مستوى الإبداع فيه، ويستوقف الباحث ما أنجزه
هذا المفكر الأديب من مئات المقالات وعشرات البحوث
في الأدب والنقد والفكر والواقع والتربية والدعوة.

ويتفرع الشكل الأدبي أيضاً إلى: الموضوع والصياغة
الفنية، ويورد المؤلف نماذج من أعمال الدكتور النحوي
يصعب شرحها في هذا المقام، وأنصح بالعودة إلى
دراسة دواوينه الشعرية للاستمتاع بالفن والأدب
الإسلامي الحقيقي.

**وأخيراً يتحدث عن الأسلوب ويحدد من خلاله
أربعة أشكال للحركة وهي:**

أولاً: الحركة المستمرة مثل:

والموت حولك زاحف مترصد

والأرض إصاّر على إصاّر

ثانياً: الحركة المفاجئة:

وإذا بالربى دوي ينادي

والليالي صدى هناك بعيد

ثالثاً: الحركة المتصاعدة:

أبني! هل يبقى سلاحك في الوغى

حجرا يطير وغضبة في الدار

ثم يصعد فيقول:

وانهض للحمة الجهاد تمدها

وهج تطاير عن قنا وشفار

رابعاً: الحركة المتراجعة:

وتَلَفَّتْ الْأَقْصَى لِمَكَّةَ لَوْمَةً

أَخْطَاهُ تَنْهَشُ أَضْلَعِي الْغَرْبَانَ

أَخْطَاهُ! أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَحَشَدُهُمْ

أَيْنَ الْمَلَائِكَةُ الْغُثَاءُ! أَمَا نَوَا؟

أَخْطَاهُ! وَأَنْقَطَعَتْ جِبَالُ نِدَائِهِ

وَأَعْرُوزَ قَتَّ مِنْ دَمْعِهِ الْأَجْفَانُ

الباب الثالث وهو بعنوان: «السمات

الجمالية من الرؤية إلى التنزيل». يقول

المؤلف بأن الدكتور عدنان النحوي قد أوجز سمات

الأدب الإسلامي في كتابه: «الأدب الإسلامي في

موضوعاته ومصطلحاته» في إحدى وعشرين سمة



الدكتور عبد الجبار البودالي

جمالية الفن

عند الدكتور عدنان علي رضا النحوي

قراءة في الذلالات والمقومات والثبات

الطبعة الثانية
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

ثالثاً: الشمول:

وتتعلق سمة الشمول بسمتي الربانية والثبات. وفي كتابه: الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته؛ يقول الدكتور عدنان النحوي عن الأدب الإسلامي بأن «ميدانه الكون والحياة كلها والإنسان والدنيا والآخرة من خلال تصور إيماني متناسق نابع من الكتاب والسنة، وأنه أدب ممتد في حياة الإنسان مع الأجيال المؤمنة الممتدة، يمثل نهجاً لا قطعاً متناثرة يتصيدھا من مكان إلى مكان».

رابعاً: الإيجابية:

يستوحي الأديب عدنان النحوي من الوحي شواهد متعددة للاحتجاج على إيجابية الكلمة وعلى منزلتها المكيّة، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْنِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ

من سمات تستمد شعاعها من خصائص التصور الإسلامي. ويشير أيضاً إلى أن سيد قطب قد حصر تلك السمات في سبع، ثم أخذ يبين لنا تجليات تلك الخصائص فيما أثبتته النحوي من سمات، وأورد من شعره كل سمة من السمات.

أولاً: الربانية:

حيث يقول الدكتور عدنان النحوي عن الأدب الإسلامي: إنه أدب العقيدة الإسلامية بكل خصائصها... وتظهر هذه السمة في قصيدته المشهورة «لآلئ الشعر» ومطلعها:

الشعرُ بَابان: بَابٌ من أَبَالِسَةٍ

يُوحُونَ بالشعر آثاماً وأوزاراً

وَزُخْرُفًا لَمْ تَزَلْ تَرْضَاهُ أَفْقَدَةُ

تَلْقَى به النَّارُ أَوْ تَلْقَى به العَارُ

وشاعرٌ من هُدَى الرُّخْمَنِ خَفَقَتْهُ

مَعْنَى وَلَفْظاً وَأَشْوَاقاً وإِثَاراً

ثانياً: الثبات:

إن ثبات المقومات والقيم سمة مميزة ملازمة للتصور الإسلامي، وفي ذلك يقول الدكتور عدنان النحوي عن الأدب الإسلامي: «إنه أدب تام متطور على أسس ثابتة راسخة عميقة الجذور، لا يكون نموه انحرافاً ولا تبعية ولا هبوطاً. الثوابت التي لا قيام للأدب الإسلامي إلا بها، ثابت اللغة العربية ذلك أن التشكل بلغة الوحي ميسم من مياسم الأدب المنتسب للإسلام. وفي ذلك يقول الدكتور عدنان النحوي: «إن المصلحة تقتضي إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية واتخاذها لغة للكتابة الفنية والعلمية».

وللنحوي آراء فذة عن ضرورة إتقان كل أديب مسلم، بل كل مسلم على وجه الأرض مهما كانت لغته الأصلية، ضرورة إتقان اللغة العربية، وأترك التفاصيل في هذا للكتاب لمن يرغب في الاستزادة.

خَبِيثَةٌ اجْتَسَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ٢٦
(إبراهيم).

ويعقد المؤلف مقارنة بين الأدب الإسلامي والأدب الحديث؛ مظهراً رأي الدكتور عدنان النحوي، مقتبساً أمثلة من شعره بالمقارنة بشعر نزار قباني ليظهر البون الشاسع بين الإيجابية والسلبية: يقول النحوي في قصيدة موكب النور:

رب...! في موكب الحياة البديع

بين آياته وبين خشوعي

خفقات الدعاء بين ضلوعي

همسات الرجاء.. ذوب دموعي

بينما يقول نزار قباني:

«من بعد موت الله مشنوقاً

على أبواب المدينة

لم يبق للصلوات قيمة

لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة...»

خامساً: الواقعية :

إن الأدب الإسلامي إذن أدب واقعي يتميز عن الأدب الحديث بكونه ليس كشفاً عن مجهول أو بحثاً عن وهم مستحيل، ويقول المؤلف أيضاً: وأحسب أن ما أنجزه عدنان النحوي في مجال الأدب الإسلامي من آثار نظرية وشعرية يعكس بعمق مدى تمثل الرجل لواقعية الرؤية الإسلامية اعتقاداً ومنهجاً.

وقد ترجم الشاعر عدنان النحوي فنياً الواقعية الإسلامية التي تعرض لها تأصيلاً وتجريباً ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر ما جاء في قصيدته: «موكب النور»:

أيها النجم من دعاك على الأف

ق وألقاك في مساء مكين

أيها الزهر من حباك ومن أعطا

ك من نفحة الشذا ومن تكوين

سادساً: التوحيد:

يقول المؤلف إن الواقعية الإسلامية التي تبناها النحوي تنظيراً وتجريباً تشترط أن يُقرن الواقع بالاعتقاد نظراً وإبداعاً، ويعد التوحيد سمة اعتقاد مميزة للتصور الإسلامي، والمتمعن في الدفق الشعري الذي فاضت به دواوين الشاعر عدنان النحوي يلمس عقيدة التوحيد سمة مميزة لعطائه الفني:

إلهي! وفي جنبتي خَفَقَةُ وَامِقٍ

وَأَنِّي أَوَّابٌ إِلَيْكَ وَخَائِفُ

إلهي! وهذي أُمَّتِي مَزَقَ الهَوَى

قَوَاهَا وَغَشَاهَا هَوَى وَزَخَارِفُ

إلهي! فَمَنْ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَدْ غَفُوا

وَمَا أَيْقَظَتْهُمْ آيَةٌ وَمَصَاحِفُ

عقيدة راسخة وطريق واضح بين.

بينما نرى التيه والضياع في قصيدة إيليا أبو ماضي

حيث يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشت

وسأمضي في طريقي شئت أم أبيت

كيف جئت! كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!

سابعاً: التوازن:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا

فِي الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا

الْمِيزَانَ ٩﴾ (الرحمن).

يقسم المؤلف التوازن إلى ثنائيات:

الربانية والإنسانية، الحرية والالتزام، الفنية والرسالية. ويعقد مقارنة بين الأدب الإسلامي والأدب الحديث في تلك الثنائيات موراً بعضاً من شعر الدكتور عدنان النحوي مقابل أمثلة من الشعر الحديث ليظهر البون الشاسع بينهما:



يقول الدكتور عدنان النحوي:

أرى الليل غادرت في السماء كواكبه

ففار فؤادي والهموم نوابه

أنا ابن هموم الدهر حين تمخضت

مصائبه عن عسرة ونوائبه

تسريلت جلباباً بأنه الصبر ضافياً

وللصبر جلباب تطول ذوائبه

بينما يقول علي الجندي:

ألمح من خلل الماء أعين وحش له رهبة الجزر الهامدة،

وأسمع دقات قلبي في رعدة الماء،

أشعر كيف انسيابي في الموج يمنحني خفة في التشور،

ضياغ وتيه وغموض ليس له نهاية

الخاتمة:

في الخاتمة أرى أن الكاتب قد وفق في تلخيص

فكر الدكتور عدنان النحوي وإبداعاته في صفحات

معدودة، يستطيع القارئ أن يخرج منها بانطباع شبه

وافٍ لتلك الشخصية الفذة في زمننا المعاصر.

فقد بين المؤلف أن الدكتور عدنان النحوي كان

موفقاً في بنائه لمفهوم الجمال على أساس الوحي،

وأن التصور الجمالي عنده قائم على أساسين هما:

الرسالية والإمتاع.

ويبين عمق ارتباط الدكتور عدنان علي رضا

النحوي في إبداعه الأدبي والشعري والفني بعقيدة

التوحيد وانطلاقه منها دون أن يخل بتصوير الجمال

والفن بل ربط بينهما ربطاً محكماً وحكيماً.

وأشار المؤلف إلى تميز المشروع الجمالي لدى

النحوي بتجسيده تنظيراً وتجريباً لقاعدة احترام

الإنسان ومبدأ تكريمه عن طريق إعادة الاعتبار

للأديب الذي يبذل النص، وللقارئ الذي يتلقاه

ويكتشفه. وعدهما ضمن المقومات الجمالية للفن،

وبذلك يفارق النظريات النقدية الغربية التي ركزت

على الأديب إلى حد الفلو أو جنحت إلى الاعتبارات
النصية إلى درجة إعلان موت المؤلف، أو أفرطت
في الاهتمام بالقارئ إلى مستوى التشكيك في وجود
النص.

أخيراً وليس آخراً: يؤكد المؤلف صمود الدكتور

النحوي دفاعاً عن لغة الضاد بدليل تأليفه لكتاب:

«ماذا اللغة العربية؟» وهو لا يختارها لغة للأدب

تعصباً لقوم أو لبيئة، وإنما لأنها لغة الوحي الذي

نزل بها الروح الأمين على القلب النبوي الطاهر. إنها

اللغة التي لم تزل منها رياح الهدم وعواصف الإبادة

بسبب كونها لغة رسالية مصطفاة لينزل بها الوحي،

كاصطفاء محمد ص ليتنزل عليه.

وقد صدرت الرسالة (الكتاب) في الطبعة الثانية

من ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، عن دار أطلس الخضراء للنشر

والتوزيع بالرياض ■